مجلة أبعاد مجلد 10، العدد 01 (خ)، 2023
ISSN: 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد

The School of the annals and new history

بن عودة أمينة Benaouda Amina *
فلسفة جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر (الجزائر)
Amina.benaouda@univ-mascara.dz

****

تاريخ الإرسال: 2022/06/15 | تاريخ القبول: 2023/04/13 | تاريخ النشر: 2023/05/05

ملخص: إن الثورات المنهجية وما انجرّ علها من تحوّلات معرفية تقصي مفاهيم التضاد والتناقض، وتؤسس للاختلاف والفوارق والغيرية والمعرفة العلمية والدلالية المتصفة بالنسبية والتعددية، ثورات تمثلت في لسانيات فرديناند دي سوسير وابستمولوجية باشلار القطائعية، والوضعية المنطقية لكارل بوبر المناهض للتاريخانية والقائل بنظرية القابلية للتكذيب والتحليل النفسي لفرويد، إلى جانب ما أحدثته مدرسة الحوليات مع بروديل من تغيير في الدراسات التاريخية، كل تلك التحولات أدى إلى تطور علم التاريخ وتطعيمه بمفاهيم جديدة منحته صورة جديدة شكلا ومضمونا، نمّت علوم الإنسان وأنظمتها المعرفية التي كان لها التأثير الكبير على الدراسة التاريخية. تمثلت الثورة المعرفية في الانتقال من التأريخ للتاريخ الحدثي إلى التاريخ المعرفي.

الكلمات المفتاحية: التاريخ؛ مدرسة الحوليات؛ التاريخ الحدثي؛ التاريخ المعرفي؛ الثورة المنهجية.

Abstract: The methodological revolutions and the cognitive transformations that followed that abolish the concepts of contradiction, antagonism and establish differences, otherness, scientific and semantic knowledge, revolutions represented in Ferdinand de Saussure's linguistics, Bachelard's separatist epistemology, and the logical positivism of Karl Popper, the anti-historicist and psychoanalytic of Freud, what was brought about School of Annals by Fernand Braudel From a change in historical studies, all of this led to the development of the science of history and inoculating it with new concepts that gave it a new vision. This cognitive revolution was the transition from the even history to cognitive history.

Keywords: History; school of Annals; event history; Cognitive history; methodological revolution.

* المؤلف المراسل: amina.benaouda@univ-mascara.dz

مقدمة:

إن التحولات المعرفية التي طرأت على مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية ومضامينها الدراسية، أثرت على العلاقة التي تربط تلك العلوم بمجالات علمية ومعرفية أخرى، إذ دفعتها إلى ضرورة الانفتاح عليها والتعاون معها من أجل غاية التجانس مع طبيعة الفكر المعاصر الذي يرتكز على قيم التعددية والنسبية، ويسعى إلى التثاقف مع المعارف المختلفة اعتمادا على منطق الاختلاف والاعتراف والقبول بالآخر. إلا أن هذه الدراسات والبحوث الإنسانية، خاصة منها التاريخية قد انطلقت من هذا المنطلق وغيّرت زاوية القراءة والبحث، من تقصي التاريخ الحدثي العسكري، تاريخ - الرواية إلى بناء تاريخ معرفي حضاري يستكشف قيم الإنسان ومنجزاته الثقافية.

ومدرسة الحوليات الفرنسية كانت من المدارس التاريخية التي وجهّت اهتمامها إلى التاريخ الثقافي والحضاري للأمم، بعد ما شهده العالم من تغيرات وتحولات ثورية على المستوى المشكلات الإنسانية والاجتماعية من جهة، وعلى مستوى الأزمة الاقتصادية العالمية من جهة أخرى، وما انجّر عنها من تداعيات خطيرة هددت مفهوم الذات وانتقلت إلى مفهوم البنية. فاستدعى هذا التحول التوجه بالدراسة إلى مواضيع غالبا ما كانت مهمشة، وباستعمال مناهج مختلفة غير المنهج التاريخ الاسترادادي.

ولذلك كانت الأهمية في التحول من التاريخ الوثائقي إلى التاريخ المعرفي، هو الانشغال والاشتغال بمشكلات علوم الإنسان، والنظر في إمكانية التجاوب معها ودراستها استعانة بمناهج علوم الروح والطبيعة على حد سواء.

من هنا وجب طرح الاستشكال التالي: ما الذي استدعى إلى التحوّل من التأريخ للأحداث إلى التأريخ للمعرفة والعلم؟ وما منطلقات وغايات هذه الدراسة التاريخية الجديدة التي تبنّتها مدرسة الحوليات الفرنسية؟.

1. مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد

لقد عرفت الكتابة التاريخية تغيرات على مستوى الموضوع والمنهج، حيث أضحى الباحث في التاريخ الجديد يبحث عن الحقائق الملغزة، لا تلك التي تكشف عن سر وأسباب الوقائع التاريخية، كما هو الشأن في التاريخ التقليدي، والتأريخ للحدث والاعتماد على منهج السرد والرواية، وإنما اهتم المؤرخ في مدرسة الحوليات الفرنسية على وظيفة التأريخ للتاريخ كظاهرة إنسانية تحدث بسبب عوامل بشرية وطبيعية

واقتصادية مختلفة، اجتمعت من أجل ظهور تلك الظواهر المستجدة في مشكلات المجتمع، النفس، الذهنية، أو نمط العيش الخاص بالشعوب، وحتى التضاريس الجغرافية التي لها بالغ التأثير على عقلية المجتمعات وخصائص حياتهم اليومية. وبهذا خرجت الدراسات التاريخية من ضيق التخصص والاستناد على الأثر التاريخي الذي يعتمد على الوثيقة بالدرجة الأولى، إلى الانفتاح على العلوم ومناهجها باختلاف مضامينها وأساليب بحثها، فرغم خصوصية كل علم وتفرّده عن العلوم الأخرى في موضوع الدراسة، منهج البحث، والنتائج المرجوة، إلا أن الرغبة في التضايف بين المجالات المعرفية كان شعار التاريخ الجديد مع مدرسة الحوليات.

وعليه فتح المجال في القرن العشرين لظهور خطاب تاريخي نقدي يحمل مشروع إعادة بناء المنهج التاريخي من خلال تصوّر جديد لمفهوم التاريخ والحدث ومفهوم الحقيقة التاريخية، وخاصة مع مدرسة الحوليات، التي رسمت ملامح تاريخ جديد مخالف للتأريخ والأسطوغرافيا التقليدية التي تحصي وتصف الأحداث التاريخية الكبرى، ليصبح التاريخ عبارة عن حوار بين الماضي والحاضر أي محاولة فهم الإنسان الماضي من خلال مجاله اليومي، فالذين يجهلون التاريخ يحكمون على أنفسهم بعدم معرفة الحاضر لأن التطورات التاريخية وحدها التي تسمح لنا بتوطيد علاقاتنا مع عناصر الحاضر حسب ليفي شتراوس(Marwiry, 1981, p: 21.)

لقد كانت هناك عوامل وظروف تظافرت من أجل ضرورة الاعتماد على دراسات وبحوث تاريخية جديدة تتلاءم مع مشكلات العصر الراهن الإنسانية والاجتماعية، تلك العوامل التي ألزمت المؤرخ في الدراسات التاريخية الجديدة إلى الانتقال من مجال دراسة الأحداث ومآثر الأفراد وبطولاتهم العسكرية، إلى الاهتمام بالتاريخ الشمولي والتأريخ لمنجزات الحضارات، هذه الأخيرة التي تتعلق بكل الأنشطة التي والانجازات التي ينتجها الانسان والتي تعتبر الموضوع الخصب الذي يشتغل عليه المؤرخ، لتتحول مهنة المؤرخ من التأريخ للبطولات والأحداث بمنهج سردي استردادي، إلى التأريخ للمعارف والمنجزات الحضارية، وأصبحت الكتابة التاريخية تهتم بكل ما يتعلق بالإنسان ومنجزاته أو سلوكياته عامة، ففتح مجال أفق البحث إلى الأبعاد الثقافية الألسنية، النفسية، الاجتماعية، الديمغرافية والجغرافية، أي كل ما لديه تأثير على حياة الإنسان، وكل ما

ينتجه هذا الأخير. "إن مشهد الأنشطة الإنسانية المختلفة هو ما يشكل الموضوع الخاص بالمؤرخ".(حواش، 2019: ص 4)

1.1 عوامل ظهور التاريخ الجديد:

لقد كانت هناك عوامل وظروف تظافرت من أجل ضرورة الاعتماد على دراسات وبحوث تاريخية جديدة تتلاءم مع مشكلات العصر الراهن الإنسانية والاجتماعية، تلك العوامل التي ألزمت المؤرخ في الدراسات التاريخية الجديدة إلى الانتقال من مجال دراسة الأحداث ومآثر الأفراد وبطولاتهم العسكرية، إلى الاهتمام بالتأريخ لمنجزات الحضارات. من بين تلك العوامل نذكر التالي:

الالتفات نحو التاريخ الاقتصادي والاجتماعي:

سنة 1929 تأسست مجلة الحوليات في نفس السنة التي انفجرت خلالها الأزمة المالية الكبرى من بورصة "وول ستريت" وبدأت الأسئلة تتوجه إلى الحقل الاقتصادي ولاسيما إلى تاريخ حركة الأسعار لفهم ما يجري من انتكاسات وتراجعات وأزمات اجتماعية. (و. كوتراني، 2013، ص: 199).

ما يعني أن ما يفرض على المؤرخ تغيير منهج بحثه وحتى موضوعه، هو المشكلات الحياتية المستجدة في الواقع المعاش التي تتعلق بشكل مباشر بظروف العيش وتحولاتها وتأثيرها على الفرد. ولم يعد التاريخ كدراسة يتوقف على ما يتوفر من وثائق فحسب على اعتبار أن التاريخ هو عبارة عن معرفة من خلال أثر أو وثيقة.

لم تعد كمية الوثائق أو نوعيتها هي المتحكمة في عمل المؤرخ، وإنما أضحى الاعتماد في تقرير في مدى صحة الخبر أو ذاك هو قانون الإمكان والبحث في لائحة متنوعة من الوثائق، حسب لوسيان فبفر: " لا شك أن التاريخ يكتب اعتمادا على الوثائق المكتوبة، إن وجدت، لكن يمكن، بل يجب أن يكتب اعتمادا على كل ما يستطيع الباحث، بمهارته وحذقه، أن يستنبطه من أي مصدر: مفردات، الرموز، من المناظر الطبيعية ومن تركيب الآجر،من أشكال المزارع ومن الأعشاب الطفيلية، من خسوفات القمر ومن قرون الثيران، من فحوص العالم الجيولوجي للأحجار، ومن تحليلات الكيميائي للسيوف الحديدية".(حواش، 2019: ص، ص، 10، 11).

ازدهار العلوم الاجتماعية:

أثّرت المشكلات الاجتماعية النفسية واللغوية الألسنية في ضرورة تحوّل علمائها إلى دراستها ومناقشة أسباب ظهورها وطرائق تحليلها وحلّها، وهذا ما استدعى التأريخ للظواهر والنظر في مسار تحولاتها عبر التاريخ.

ومن الأعمال التي ساهمت بقوة في تأسيس هذه المدرسة، قد وضع تحت عنوان: " تمجيد التاريخ، مهنة المؤرخ" لصاحبه مارك بلوخ، ولممارسة هذه المهنة على أحسن وجه ألّح هذا الأخير على ضرورة تسلح صاحبها بثقافة تاريخية عامة وصلبة، ففضلا عن العلوم الضرورية المساعدة على نقد الوثائق واستثمارها، أكد أيضا على ضرورة إلمامه بعلوم أخرى تتكامل منهجيا مع علم التاريخ من قبيل: علم الآثار، الجغرافيا، الأنثروبولوجيا، الإحصاء، الديموغرافيا، الاقتصاد وعلم الاجتماع والألسنية وغيرها.((حواش، 2019: ص 06)

ساهم هذا العامل الاجتماعي في عملية التأسيس للتاريخ الجديد الذي دعا إليه مؤسسا مجلة الحوليات لوسيان فبفر(Lucien Fabver) ومارك بلوخ(Marc Bloch)، حيث توسعت الدراسات في حقل العلوم الاجتماعية الجديدة الألسنية، التحليل النفسي، الأنثروبولوجيا، وبصورة خاصة علم الاجتماع، فهو على تماس مباشر مع التاريخ. (كوتراني، 2013، ص: 200)

تأثير المدرسة الدوركايمية:

أسس دوركايم مجلة "الحولية السوسيولوجية" ليخوض معركة جذب للعلوم الأخرى نحو محور علم الاجتماع، ولم ينكر دوركايم أهمية التاريخ بل عدّه علما جوهريا، وقد تبنى مارك بلوخ ولوسيان فبفر أطروحات المدرسة الدوركايمية، وكانت مجلة الحولية السوسيولوجية لدوركايم النموذج الذي تسعى أن تكون عليه مجلة الحوليات التاريخية.(لوغوف، 2007، ص: 282).

تأثير ماكس فيبر:

مع ماكس فيبر (Max weber)حدث توظيف قضايا الدين والقانون والاقتصاد والقيم الإنسانية عامة في الدراسات التاريخية من أجل بلوغ الرؤية الشمولية للتاريخ والتأريخ.

كانت جهود ماكس فيبر في ألمانيا في مجال دراسة علم الاجتماع التاريخي تقدم أنماطا من الدراسات التي تجمع في إطار واحد دراسة الدين والقيم، التاريخ والقانون والاقتصاد، كان ماكس فيبر رائدا للتاريخ الشامل من منظور مؤرخي مدرسة الحوليات. (كوثراني، 2013، ص: 203)

تأثير المدرسة الفيدالية في الجغرافيا:

لا يمكننا إنكار دور فارنان بروديل في توظيف الأبعاد الجغرافية في تحديد ثقافة الشعوب وأهميتها في رسم ثقافاتها، التي ترتبط بشكل مباشر بالموقع الجغرافي وظروفه. فمن خلال "كتاب المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني"، الذي وضح فيه بروديل أهمية التداخل بين التاريخ ككتابة تأريخية وبين الأنثروبولوجيا والجيولوجيا والسوسيولوجيا، حيث أنه لم يركز في كتابه على التأريخ للموقع الجغرافي المتمثل في جغرافية البحر الأبيض المتوسط والدول المنتمية إليه، بل اهتم بتحديد الخصائص الثقافية الأنثروبولوجية والذهنية المتعلقة بشعوب تلك الدول، فخصّ الحديث عن طبيعة التضاريس، اللغة، اللباس، نمط التفكير، أسلوب العيش، العادات والتقاليد وكل ما يميز الطبيعة النفسية والعقلية والاجتماعية التي تتأثر بالعامل الجغرافي وتؤثر فيه.

تعتبر الجغرافيا من أكثر العلوم تلازما مع التاريخ من خلال التأريخ للحضارات وشعوبها، ويقر أحد مؤسسي مجلة الحوليات لوسيان فبفر بفضل بول فيدال لابلاش بقوله: " يمكن أن نقول وإلى حد ما إن الجغرافيا الفيدالية هي التي أطلقت التاريخ الجديد". (لوغوف، 2007، ص: 99)

تأثير التحليل النفسي:

ما أحدثه التحليل النفسي من تحوّلات في دراسة النفسية البشرية انعكس على البحوث التاريخية، حيث أصبح الحديث عن الإرادة الإنسانية ودورها الحاسم في تحديد السلوك الإنساني، هذا الأخير الذي يترتب عليه المسؤولية اتجاه تداعيات الفعل الاختياري، حديث تجاوزه سيقموند فرويد (Sigmund Freud) من خلال كشفه عن المنطقة الدفينة التي ينسب لها مسؤولية الفعل خارج الشعور وخارج الوعي، إنها منطقة اللاشعور. ومن هذا المنطلق أضحت هناك زوايا مهمشة مغيبة عن مجال الدراسة وجب الالتفات لها وإعطائها نصيبها من البحث والتقصي. وهذا ما جعل مدرسة الحوليات تنفتح على هذا المجال النفسي بالذات في الكتابة التاريخية.

لفتت معطيات التحليل النفسي عند فرويد وعلم نفس النمو عند جون بيارجيه اهتمامات مؤرخي مجلة الحوليات بالتأريخ للمشاعر والأحاسيس والعواطف وسمات العقليات والذهنيات، بما يعرف بعلم النفس التاريخي. (كوتراني، 2013، ص: 205) فكانت الضرورة التاريخية في البحوث النفسية تستوجب تتبع حياة المريض النفسي، والنظر في مراحل حياته التي قد تكشف عن تأزّمات حياتية أدت إلى تراكمات انفعالية كونت عقدا نفسية، حددت هذه الأخيرة، شخصية الإنسان البالغ.

- تأثير مجلة التوليف التاريخي:

كان لصدور "مجلة التوليف التاريخي" بالغ الأهمية في التحوّل الحاصل على البحوث التاريخية، حيث لم يعد ينظر للإنسان في فرادته وتفرّده وانغلاقه على ذاته، بل لم يعد للفرد أهمية خارج الجماعة التي ينتمي إليها، إنما أصبح الإنسان عنصر، جزء وفرد ضمن المجموعة لا قيمة له خارجها ولا استغناء عنه دونها وإن دقّت وصغرت وظيفته، هنا يمكننا الحديث عن النظام البنيوي والنسق العضوي الوظيفي الذي يميز الجماعة البشرية.

صدرت المجلة سنة 1903 برئاسة هنري بيير(Henri Pierre)، حيث نشر فيها فرانسوا سيميان (François Simiand)مقالا دعا من خلاله المؤرخين للتخلّص من انغلاقهم وتجديد أنفسهم وتحويل ملاحظاتهم من الفردي إلى الاجتماعي. (دوس، 2009، ص، ص: 50، 51).

2.1. ميلاد مدرسة الحوليات:

إن انفتاح التاريخ على مفاهيم العلوم الإنسانية وخاصة الاجتماعي منها، أثرى مواضيع اشتغاله ومناهج بحثه، خاصة وقد كان المجتمع، الوسط الذي تنطلق منه الدراسات التاريخية، على اعتبار أنه المجال الذي يمثل مظاهر الفعل الإنساني، فأصبح المؤرخ مع تأسيس الحوليات، مؤرخا للاقتصاد، للأنثروبولوجيا والديموغرافيا، علم النفس واللسانيات. لذلك تقترح مدرسة الحوليات توسيع مجال حقل التاريخ وتجاوز التاريخ السياسي الذي تبنته المدرسة الوضعية لانبهار هذه الأخيرة بوصف الأحداث التاريخية، مما يحمل اهتمامات مؤرخي الحوليات نحو الآفاق أخرى كالطبيعة والسكان والديموغرافيا والمبادلات والعادات، وبهذه الصورة تكونت أنثروبولوجيا مادية. (لوغوف، 2007، ص: 87).

إن النظر إلى التاريخ الجديد بوصفه علم اجتماعي، يتخطى البحث عن المشكلات المألوفة الجاهزة في المعرفة التاريخية، التي تتمّوقع في الماضي وتبحث في التاريخ الحدثي (Event history) أو ما يسمى التاريخ –الرواية(Novel- history)، جعله تاريخ معرفي يرتقي عن مجرد الكشف عن الخبر التاريخي، ليعتبر الحقيقة التاريخية حقيقة ملغزة تكشف أسرارها العديد من العوامل المؤثرة فيها. فلم يعد يهتم المؤرخ في بحثه التاريخي بأخبار الأبطال وسير الملوك ولا المعاهدات والحروب والمعارك، بل ركزّ على المعارف المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، هذا ما يسمى بالتاريخ المعرفي(Cognitive history)، إنه التاريخ الذي يهتم بكل ما ينتجه الإنسان. وقد كان فولتير في تأريخه لفلسفة التاريخ ممّن قال بضرورة الاهتمام بالمنجزات الحضارية للإنسان لا بما خاضه هذا الأخير من حروب.

كما اعتبرت أطروحة فرديناند بروديل (Fernand Braudel)" البحر الأبيض المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني" قراءة ثورية يمكن أن تستخلص منها ابستمولوجية جديدة للمعرفة التاريخية بدأت بتوجيه انتقادات شديدة للمؤرخين التقليديين ولنماذج التاريخ الحدثي. (العروي، 2009، ص: 61).

إن الدراسة العلمية للبحوث التاريخية من منظور التاريخ الجديد، يقتضي التحوّل الثوري من التأريخ للأحداث العسكرية وتوثيق المعاهدات والمعارك، إلى التأريخ للثقافات التي لن تنبني وتتأسس بمعزل عن ظروفها التي أنشأتها، وأهّم تلك الظروف إنما هي الموقع الجغرافي الذي يفرض على المجموعة البشرية التعايش معها وفق ما تمارسه عليها من ضغوطات، صعوبات، أو سهولة ورخاء.

ويكفي القول أن مدرسة الحوليات خرجت من رحم أزمات بنيوية غير مسبوقة لخصتها الحربان العالميتان الأولى والثانية، ثم الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929. كشفت هذه الأزمات الثلاث هشاشة الحضارة الغربية ومحدوديتها، مما صوّغ لمؤرخ الحضارة أوزفالد شبنجلر (Oswald Spengler) كتابة مؤلفه" أفول الغرب"(The decline of the west)، ودفع أغلب المؤرخين هجر المدرسة الوثائقية بسبب مبالغتها في تمجيد النزعات القومية الضيقة، وفسح المجال أمام إعادة الاعتبار للتواريخ المنسية والمهمّشة المتحررة من الأزمنة القصيرة والحدود القومية المصطنعة (حواش، 2019: ص 12). لقد كان التأريخ للحضارة وتاريخها عند شبنجلر بالغ الأهمية في محاولة صياغة قانون التطور التاريخي، حيث اعتبر هذا الأخير الحضارة كائنا عضويا تسري عليه نفس نواميس

الطبيعة العضوية، تلك التي تسير في مسارها من الميلاد والنمو نحو مصيرها المحتوم وهو الموت، شأنها في ذلك شأن الكائنات الحية ومنها الإنسان. وما يجعل التاريخ يُبنى حسب شبنجلر هو استثمار الطاقات الإبداعية الإنسانية، بينما ما يجعله يصل إلى مرحلة الأفول هو استنزاف تلك الإمكانات والقدرات وبلوغ مرحلة الضعف والتخشب في مرحلة المدنية وأزمة الروح والإنسان.

مثلا أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)صاحب نظرية التحدي والاستجابة ومؤرخ الحضارة في تحديد مسارها يقول أن الظروف الصعبة لا السهلة هي التي تستثير في الأمم قيام الحضارات، هذا ما أضفى على التاريخ الطابع الجدلي، ويدعو إلى غاية تفسير حركة تطوره ومساره، على اعتبار أننا نفهم التاريخ لأننا كائنات تاريخية، ويمكننا استشراف ما يحدث في المستقبل عن طريق الكشف عن قانون التغير التاريخي من خلال فهم طبيعة التحوّل والتغيّر في التاريخ وقوانين التطور أو الانهيار، حيث حددت الحركة الديناميكية الجدلية في أنماط التفكير وأساليب العيش، إضافة إلى التحول من قابلية الإبداع والابتكار إلى الركود والعزوف عن التفنن في الأفعال والأعمال، حددت المسار الذي يسير وفقه التاريخ أثناء بنائه أو نموه، إلى أفوله أو انهياره، ثم النظر في إمكانية التجديد والنهوض من جديد بالعودة إلى إرادة وقوة الإبداع.

رواد مدرسة الحوليات لم يترددوا، رغم تشككهم المبدئي في قدرة التاريخ على التفسير، في الإقرار بهذه الوظيفة الجليلة لدرس التاريخ. لكنهم أضفوا عليها طابعا جدليا تفاعليا حينما فصل مارك بلوخ القول فيما اعتبره وظيفة التاريخ، وهي الفهم، فهم الحاضر من خلال الماضي، وفهم الماضي من خلال الحاضر، هذا ما أكد عليه أيضا جاك لوغوف (Jacqes Le Goff) حينما قال: " من المهم أن نعرف الماضي لفهم جيد للحاضر، ولمعرفة مدى استمراريته في حياتنا، ومدى انفصالنا عنه".(حواش، 2019: ص، ص 8، 9)

2. مميزات التاريخ الجديد

أهم ما يميز التاريخ الجديد هو انفتاحه على العلوم الإنسانية والاجتماعية والاهتمام بالتاريخ الاجتماعي في مقابل التاريخ السياسي العسكري."تميز التاريخ الجديد باستقطابه للعلوم الاجتماعية وانفتاحه على الحقلين الاقتصادي والاجتماعي وإحداث قطيعة فعلية مع الكتابة التقليدية للتاريخ.(دوس، 2009، ص: 84).

إلى جانب التركيز على التاريخ الاقتصادي بمنهجه الذي يُظهر تأثير الحالة الاقتصادية على الذهنيات داخل المجتمع، وعلى المجال السياسي والتاريخ الجغرافي كحركة تاريخية بطيئة للفضاءات الجغرافية، والتاريخ الديمغرافي ومنهجه الكمي الإحصائي لفئات المجتمع وخصائصها وتحوّلاتها التي تبرز نمط عيش الأفراد داخل وجودهم الأسري، ثم التاريخ الاجتماعي.

-الانفتاح على العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث اشتغل لوسيان فبفر ومارك بلوخ على موضوعات جديدة غير مطروقة عن طريق انفتاحهما على المناهج المختلفة للعلوم الاجتماعية، وبالتالي توسعت المعرفة التاريخية ومفهوم التاريخ في حد ذاته. (العروي، 2009، ص: 58).

-التحول من التاريخ الحدثي إلى التاريخ المعرفي. وإن كان التاريخ قد عرف تحوّلا، فإن ذلك ابتداءً بنقده لدغمائيات التاريخ الوصفي، متجها نحو التاريخ المعرفي ومبتعدا عن التاريخ الحدثي، تاريخ، رواية والتاريخ العسكري، داخل مجال القائم على افتراض أحادية الزمن واتصاليته واقتصاره على التحوّلات السريعة البارزة في التاريخ السياسي والعسكري الذي يخفي المنحى الحقيقي للتاريخ وبنياته الدفينة. أحدث التاريخ الجديد ثورة على مستوى الكتابة التاريخية وعلى مستوى الأزمنة التاريخية، حيث حارب التاريخ الجديد الزمن القصير لينظر إلى التاريخ من خلال الأمد الطويل. (لوغوف، 2007، ص: 13).

كما أقام التاريخ الجديد القطيعة مع التصوّر التجريبي للزمن الذي يدّعي الوفاء للحدث في واقعيته المباشرة وإمكانية إعادة بنائه فتملّكه، إلا أنه تمسك برغبة الوصول إلى الموضوعية، ليتخلى التاريخ عن انغلاقه وتخصصه في التاريخ السياسي وينفتح عن اتجاهي التاريخ: الاقتصادي والاجتماعي.

وبالتالي نقدت فكرة الحدث التاريخي، فالمؤرخ لا يجد الحقيقة التاريخية جاهزة أمامه واضحة معبرة عن نفسها، وإنما المؤرخ يجد نفسه دائما في دراسته التاريخية أمام حقيقة ملغزة تفرض عليه منهجية خاصة للكشف عنها، فيتبع البناء العلمي بالتحليل والتفسير وإعادة بناء الماضي، بحيث أن التاريخ الحدثي ليس مجموعة من المواقع والمواضيع الطبيعية أو الجواهر، وإنما هو حصيلة اقتطاع حر نمارسه داخل الواقع. وبالتالي فإنه لا يتمتع بأي وحدة أصلية، بهذا أصبحت الأسطوغرافيا الجديدة تقوم على نقد وتمحيص لمناهج العلوم بمختلف فروعها، فانتقلت من مشروع وصفي يبني الحدث

التاريخي من خلال وقوعه الفعلي، إلى مشروع معرفي يسعى إلى إظهار مدى صلاحية المناهج الموّجهة لمعرفة الواقع التاريخي إنسانيا كان أم لا. (Bourdé , 1983, p: 233, 234)

على ما يبدو أن علم التاريخ كان وما يزال يساير ويتأثر بتطور العلوم، فنجده يتقرّب إلى المتفوق منها ويحاول الاقتداء به لبلوغ نفس المكانة، فمن رغبته في انتهاج المنهج التجريبي ضمن العلم الوضعي الطبيعي كي يمنحه الدقة والموضوعية اللازمتين وفي إمكان تسميته بـ –علم- نجده في القرن العشرين يحاول تدعيم تلك الرغبة في تأسيس منهج مستقل لا يقل عن المناهج العلمية الأخرى.

كما أعيد النظر في منزلة الحقيقة في التاريخ، حيث لم تعد تتماشى والإرادة المطلقة التي تحرك مسار التاريخ، ولا غاية هذا المسار، إلى جانب أن الخطاب التاريخي لم يعد يدّعي استعادة الحقيقة الأصلية للأحداث كما وقعت في الماضي، وعليه قد أخضع التاريخ الجديد الحقيقة لحركيته ليفقد بمقتضى ذلك وهم التطابق وصلابة اليقين والثبات الموضوعي بل والمطلق الذي ادعاه الفكر المنهجي الوضعي. (السيد، 1414هـ، 1994م، ص: ص 29، 30).

3. تقسيم الأزمنة التاريخية عند بروديل

على مستوى الدراسات التاريخية المعرفية التي تهتم بها مدرسة الحوليات، لم يعد التاريخ الماضي هو الزمن الوحيد الذي يهتم المؤرخ، في وظيفته التأريخية، بالكشف عن خباياه وما جرى فيه من أحداث، بل أصبحت مستويات دراسة موضوع التاريخ تتعلق بمدد زمنية متفاوتة بين المدة القصيرة الظرفية، الآنية، المدة المتوسطة، إلى المدة الزمنية الطويلة، التي يكون فيها التحوّل التاريخي يبدو ثابتا من شدة بطء تغيره وتحوله.

ونتج عن المفهوم الجديد لموضوع التاريخ وما رافقه من تبدّل في شروط الكتابة والانتقال بها من الحدث السياسي أو العسكري المعزول، إلى الواقعة المنضوية ضمن نسق اجتماعي معين، تغير آخر من حجم قوي تمثل في مدد الكتابة التاريخية، فانتقلت هذه المدد عند مدرسة الحوليات مما أسماه فيرناند بروديل بالزمن القصير، المحترق، اللحظي والآني، الذي يتمحور حول الحدث السياسي إلى الزمن الطويل الذي يتناول الحدث الاجتماعي الممتد، والذي تتداخل فيه مختلف الأنشطة الإنسانية.((حواش، 2019: ص 06)

3 .1الزمن الجغرافي للتاريخ:

هو زمن شبه راكد وبطيء جدا يهتم بتاريخ علاقة الإنسان بمحيطه الجغرافي كالمجتمعات الزراعية والفضاء والمناخ والتضاريس والمزارع والسواحل البحرية.

في التأريخ لهذا الزمن يشدّد فرديناند بروديل على أهمية الإطار الجغرافي، فالجغرافيا ترسم أطر للإنسان طويلة الأمد لكنها غير جامدة بل تتأثر بتغيرات المناخ وموجاته وتتغير بقدرة الإنسان على التغير والتكيف، وفي هذا الإطار يتبلور مفهوم التاريخ للمدى الطويل من خلال دراسة وثائقية معمقة لمعطيات الطبيعة ومعطيات البشر في العالم المتوسط. (كوثراني، 2013، ص: 214)

هو زمن شبه راكد وبطيء جدا يهتم بتاريخ علاقة الإنسان بمحيطه الجغرافي كالمجتمعات الزراعية والفضاء والمناخ والتضاريس والمزارع والسواحل البحرية. وكما أن التحولات على المستوى الجغرافي تحدث لكن بوتيرة بطيئة جدا يظهر وكأنها لا تتغير، كذلك تكون التغيرات على مستوى نمط عيش الإنسان، الذي قد لا يتغير بسهولة من نمط عيش زراعي مثلا إلى نمط عيش صناعي، وكذلك الأمر بالنسبة للتحولات الطارئة على التضاريس الطبيعية التي تبدو راكدة وثابتة لا تظهر سرعة في التبدّل إلا إذا حدثت كوارث طبيعية هذه الأخيرة التي قد تحدث انقلابا جذريا على المستوى الجغرافي مثل الزلالزل والفيضانات

3 .2الزمن الظرفي الدوري الاجتماعي:

أمد هذا الزمن متوسط والتغير فيه بطيء يهم المجموعات البشرية والإقتصادات والدول ويعني من منظور بروديل تاريخ الظرفية، تاريخ التذبذبات الدورية التي يعيشها الاقتصاد مثل ارتفاع الأسعار وهبوطها الذي يمكن التعامل معه عبر مقاطع زمنية من عشر حتى خمسين سنة. التيمومي، 2003، ص: 104)

يتعلق هذا الزمن بتغيراته المتوسطة الأمد التي تحدث على مستوى الاضطرابات الدورية التي يشهدها الاقتصاد مثلا من خلال التغير في قانون العرض والطلب الذي يؤثر في تحديد الأسعار بانخفاضها أو ارتفاعها، هذا الزمن يتحول بشكل بطيء وظرفي يتأثر باقتصادات الشعوب وطبيعتها.

3 .3الزمن الفردي الحدثي:

هو زمن أمده قصير وهو التاريخ الوقائعي، زمن الأفراد والتاريخ التقليدي القائم على الأشكال الحكومية والسياسية والعسكرية والفنية، وقيمة هذا الزمن ثانوية جدا لأنه تاريخ ذو ذبذبات قصيرة وسريعة وعصبية. (لوغوف، 2007، ص: 127)

هذا الزمن الحدثي يتعلق بالشخصيات والأحداث الفردية لما يتميز به من تحولات سريعة تتعلق بالتأثيرات العسكرية التي تحدث تغيرات فورية على الوقائع، حيث قد تقام دول وتنهار أخرى بسبب التدخلات العسكرية.

وعليه قسم فيرناند بروديل الزمن التاريخي إلى ثلاث مدد، هي: الزمن الطبيعي شبه الثابت، الزمن الاجتماعي البطيء الحركة، والزمن القصير السريع الزوال. فالزمن الطبيعي أو الجغرافي، هو زمن شبه ثابت لذلك فهو يقاس بملايين السنين. أما الزمن الاجتماعي البطيء الحركة، فهو ما يصطلح عليه أيضا بالزمن الطويل الذي يقاس بالقرون ويعتبره بروديل الإطار الأنسب لكتابة التاريخ بمفهومه الشمولي. أما الزمن القصير، فهو زمن الأحداث السياسية والعسكرية القصيرة العمر والمحدودة الأثر، أو ما يسميه بروديل بـ" الزمن المحترق" الذي شكل الإطار الأنسب للمدرسة الوثائقية الذي تشتغل بما يسمونه تاريخ العقود والحروب.(**حواش، 2019: ص7**)، بينما تجاوزت مدرسة الحوليات من خلال دراساتها التاريخية الجديدة، البحوث الوثائقية التي ترتكز بالدرجة الأولى على الوثائق بوصفه أثر مهم يكشف من خلاله المعرفة التاريخية، واهتمت بالمشكلات التاريخية المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية وحتى الطبيعية، تعلقا متبادل التأثير والتأثّر.

الخاتمة:

لقد أبانت الدراسات التاريخية المعاصرة للتاريخ الجديد، من خلال ما تبنته مدرسة الحوليات الفرنسية، على ضرورة انفتاح علوم الإنسان على العلوم الأخرى الاجتماعية والطبيعية وحتى الدقيقة والإحصائية، نظرا للحاجة الملحّة في دراسة المشكلات التاريخية لا من منظور التاريخ القديم، وما حدث فيه من أحداث تستوجب استردادها واستدعاؤها من منطلق التأريخ التاريخي لماضي الشعوب، بل من الوقوف على تأثير ذلك الماضي على الحاضر المعاش، وإمكانية استشراف واقع مستقبلي يراعي النسبية في

العلوم الاجتماعية، هذه الأخيرة التي تعتبر فيها المعرفة تنمو وتتحوّل وتتغير وفق تغيرات وتحولات النفس البشرية وتبدّل أحوالها ومعارفها.

ونظرا للثورات المنهجية التي ميزت العلوم الإنسانية في القرن العشرين، كان لزاما على التاريخ كعلم ينتمي إلى مجال علوم الإنسان، أن يجاري تلك العلوم ويتبنى مناهجها من أجل التجديد في الدراسات التاريخية والسعي وراء هدف أسمى من اكتشاف الحقيقة التاريخية الماضية ومنحها الموضوعية التي ميزت علوم الطبيعية، ذلك الهدف كان السعي من أجل إمكانية استشراف مستقبل تاريخي يكون فيه الإنسان صانعا للتاريخ مؤثرا ومتأثرا به، وبكل ما يحيط به من ظروف اجتماعية، نفسية، اقتصادية، سياسية وليس فقط التموقع داخل البؤرة العسكرية الدموية.

ولذلك أصبح التاريخ الجديد يؤرخ لذهنيات الشعوب وأنماط عيشهم، ثقافاتهم، مواقع عيشهم الجغرافية وما تحدثه من خصوصية تميز طبيعتهم النفسية والعقلية، ما معناه أدرك الإنسان مع مدرسة الحوليات أن ما يستحق التأريخ هو تاريخ العلم والحضارة، تاريخ المنجزات الثقافية لا تاريخ الحروب والمعارك، إذ المعركة الكبرى اليوم هي معركة العلوم والمعارف.

ومن هنا وجب التفطن للغايات الخفية التي قد تسعى إليها هذه المدرسة أو غيرها من الانطلاق من المعارف الاقتصادية والاجتماعية، بل والثقافية والأنثروبولوجية والجغرافية للشعوب من أجل النظر في إمكانية استغلالها واستنزافها روحيا وماديا...

المصادر والمراجع

1. الهادي التيمومي، (2003)، مفهوم التاريخ وتاريخ المفهوم، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ط1.
2. جاك لوغوف، (2007)، التاريخ الجديد، تر. محمد الطاهر المنصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.
3. وجيه كوثراني، (2013)، تاريخ التاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط2،.
4. ولد أباه للسيد، (1414هـ، 1994م)، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، دار المنتخب العربي، ط1.
5. محمد حواش، (2019)، منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون ومدرسة الحوليات، دراسة مقارنة، جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، المغرب، مركز دراسات المعرفة والحضارة، المغرب.(د، ط)
6. عبد الله العروي، (2009)، ايستمولوجيا التاريخ، ابن نديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1.
7. فرانسوا دوس، (2009)، التاريخ المفتت، تر. محمد الطاهر منصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،.
8. Guy Bourdé, Hervé Martin, (1983), Les Ecoles Historiques, Edit du seuil.
9. Althur Marwick, (1981), The nature of history, the Macmillan press LTD, second edition.